فلسفة الفن

# بين الاشتراكية والبورجوازية

بقلم ايفان أنسيموف
ترجمة كمال عطية

تحرز * المسائل النظرية في الادب ، وفي الفن الخلاق كله على وجه العموم ، أهمية خاصة في وقتنا الحاضر . وفي نفس الوقت يكشف الاقتراب من تلك المسائل عن تضاد حاد في وجهات النظر . فالمفهوم الاشتراكي للفن يندفع منطلقا نحو الامام مدعما دائما بالتجربة الشاملة للواقعية الاشتراكية ، بينما على العكس منه ترتبط المفاهيم الاخرى بدرجات متفاوتة بالازمات النفسية في العالم البرجوازي : ابتداء من « نظرية الشخصية الكاملة » في الشعر التي وضعها ت.س. اليوت في مقاله القديم عام ١٩١٩ عن ـ التقاليد والموهبة الفردية ـ والتي أعلنت عن الانقراض التدريجي للفنان الفرد ، الى النظريات الذاتية المتعددة التي تحتل النزعات الوجودية المختلفة المكان الاول بينها .

والصراع بين الاتجاهين في تطور الادب الحديث ـ الاتجاه الاشتراكي والاتجاه غير الاشتراكي ـ يتارجح كذلك في مجال فلسفة الفن الخلاق . والاختلاف بين الاتجاهين يبدأ من السؤال الاساسي عن الكيفية التي بها نفهم الانسان .. آماله وقدراته .

فالاشتراكية الانسانية تقدر بدرجة عالية قيمة التكامل الانساني ، بينما تعتمد الاتجاهات المعادية للاشتراكية على الاقتناع بأن الاستسلام والعجز هي الصفات الاولية في الانسان الحديث . وذلك هو السبب مثلا ، في وجود هوة بين المنهج الجمالي الذي وضعه «جوهانز ر. بخر» في دراساته الاخيرة عن نظرية الواقعية الاشتراكية وبصفة خاصة في كتابه عن « المبدأ الشعري Das poetische Pring pe الذي يتضمن افكارا عديدة رائعة عن « مملكة الانسان » ، ومن ناحية اخرى بين أي نظرية حديثة في علم الجمال تقوم على « العبث ، والخوف ، واليأس ، والهلاك » والصفات الاخرى الملازمة دائما لعلم الجمال في الوقت الحاضر الذي ينعكس في تعبيراته العجز عن رسم أبعاد المجتمع البرجوازي .

وليس غريبا ان يكون « المبدأ الشعري » هو هدف هذه الاتجاهات المختلفة بحدة سواء بالنسبة الى الفهم الاشتراكي والى الانواع العديدة من الوجودية .

فالحد الفاصل بين الاتجاهين في علم الجمال الحديث يتلخص في وجود ـ انسان يواجه مستقبله العظيم ، وانسان بلا مستقبل ...

والدراسات المعاصرة في مسائل الشخصية الخلاقة أو الاسلوب الفني تعتمد مباشرة على هذا الحد الفاصل .

ففي المجتمع البرجوازي تتحول الشخصية الكاملة للكاتب بدرجة متزايدة حتى تصبح شيئا مجردا ، خلاصة من العنصر الخاص والفريد الذي تساهم به في تطور الادب . ولقد انعكس هذا الامر في كثير من أعمال دارسي الادب في اوروبا الغربية . فنجد على سبيل المثال « كليمنز هيزيليوز » ينشر مؤخرا في عام ١٩٦١ كتابه الخصب « الشعر الغنائي الالماني الحديث Deutsche Syrik der Moderne الذي يسعى فيه « الاسلوب الحالي » باستمرار الى تحطيم التطور الادبي المعاصر لوجود هذا أو ذاك من « البناء أو البناء السابق » حسب التعبير الاكثر ملاءمة في الوقت الحاضر ، مما يؤدي الى رسم صورة غير صحيحة تماما للاحداث الادبية مع تحريف الابعاد النفسية والاجتماعية . لان الشخصية الخلاقة ، ومعها القدرة على اصدار اية أحكام حول الاسلوب الفني ، تكون قد أرغمت على الضياع ، وقد ضاعت فعلا تحت وطاة « التركيبات » أو « التركيبات السابقة » .

كما نجد « رينيه جيرارد » في بحثه الخاص عام ١٩٦١ عن « الكذب الرومانتيكي والحقيقة الروائية « Mensonge romantique et la vérité romanesque » يصور الفنان باعتباره ضحية لقوانين المألوف ، باعتباره « سجين القواعد » التي تعمل في النهاية باستقلال كلي عن ذاته .

مثل هذه النظرية عن الارغام المطلق لارادة الفنان لم يكن ممكنا أن توجد الا في حالة الازمات النفسية الحادة التي تحاصر الغرب الرأسمالي اليوم .

فالاسلوب الفني ـ في رأي جيرارد ـ لا يمكن فصله عن « الوضع العضوي » للعالم المحيط وهو أقرب ما يكون الى مفهوم القدرة البسيطة على التكرار .

وتبعا لما يقوله الناقد الفرنسي ، فان حقيقة الامر تتلخص في ان الادب يعكس باستمرار « التمزق الداخلي للقيم » وان التطور الكامل للادب يتم في دائرة مغلقة . ولذلك يقول عن أعمال الكتاب الذين درسهم دراسة مفصلة ان « روايات ستندال ، وفلوبير ، وبروست ، ودستويفسكي ، هي مراحل على طول طريق واحد . فهم يصورون حالات متوالية من الفوضى التي تنتشر دائما باتساع كبير وتنمو بدرجة أعمق » ..

وهذا هو الدرب المظلم الذي يقودنا اليه مؤلف « الكذب الرومانتيكي والحقيقة الروائية » .

***

ان النظرة الاشتراكية لجوهر الادب ، وللاسلوب الفني والمقدرة الخاصة للكاتب تختلف كلية عن نظرة رينيه جيرارد وكثير من الدارسين المعاصرين الاخرين الذين لهم نفس وجهات النظر .

ان مسألة الاسلوب هي المجال الاكثر أهمية في نظرية الادب ، ولسوف نقترب من هذا المجال من زوايا مختلفة لكي نضيء كل جوانبه دون ان نترك أيا منها في الظلام . وسوف نبدأ من حقيقة ان هناك علاقة جدلية بين اسلوب الواقعية الاشتراكية وبين الفردية الفنية التي تكون عارية في داخل جوفها الاسطوري . اننا لا نستطيع أن نقنع بالملاحظات الفردية المتصلة بدائرة المسائل التي تنتج عن ارتباطنا بهذا التعميم الاساسي . فالقواعد المعقدة تحتاج أن نمتلك ثروة كاملة عن الحياة الادبية المعاصرة .

اننا نبحث في تلك القواعد المعقدة التي تحدد معناها بالحقيقة القائلة انه بالنسبة للمراحل الأولى في التاريخ يكون في مقدورنا أن نكشف عن دور فردية الفنان في مجالها وأهميتها الكاملة ، ان نكشف كل روابطها مع الحياة ككل .. حياة المجتمع .

---

● نشر هذا المقال بمجلة « الادب السوفياتي » ـ عدد ٣ ، سنة ١٩٦٤ تحت عنوان « فلسفة الفن الخلاق » .

ان أسلوب الواقعية الاشتراكية هو الاسلوب الانساني حقيقة ، وبداخله تجد فردية الفنان كل فرصة للتطور .

هناك كذلك جدلية في العلاقة بين الادب البرجوازي المعاصر وبين لبه اللاانساني واللامعقول . فمع ان الدراسة الادبية البرجوازية تنبذ فكرة الاسلوب كلية ، أو لا تعطيها الاهتمام الذي تستحقه ، فان الادب البرجوازي الهابط يصنع اسلوبه الخاص ... وهذا بدون شك موضوع جدير بالدراسة .

في عام ١٩٥٩ أصدر فرانسوا مورياك كتابه « ذكريات داخلية Mémoires intérieures » الذي يستحق كثيرا من الاهتمام ، ليطلق فيه عديدا من الافكار المريرة . انه لم يخدع بالضجة التي اثيرت حول ما يدعى « الادب المضاد » و « الرواية الجديدة » لانه كان يرى سمة الانحطاط في الاعمال الادبية التي تفخر بجدتها . فهو على سبيل المثال ، يقول عن « آلان روب جرييه » ان « تكنيكه في معالجة السطح وتحوله المفاجيء الى العمق » لا يستطيع ان يجعل الادب طيبا ، ولا يستطيع الاسلوب الحالي ان يسعى « ليكتشف ما هو الاعمق في الانسان » . ومع ان مورياك يكاد يكون مزاجا كئيبا ، وتشاؤميته التي صبغت وجهة نظر الحياة الحديثة « تملك بخناقنا » الا انه مع ذلك يحاول ان يحافظ على فكرة سمو الكاتب ، الفكرة التي يراها تتلاشى أمام عينيه والتي يعلن عنها انها « مودة قديمة » .

وهجوم مورياك الذي يصاحب الفرزات الحديثة الى ميدان الرواية يبدو مشبعا بشعور من عدم الاستقرار . لان الجيل الذي لا يزال مرتبطا بالتقاليد الكلاسيكية الواقعية يبدي استعداده دائما لان ينعزل الى الهامش ، معزيا نفسه بذكريات الماضي عندما كان الادب لا يزال عند قمة أعلى من التي يقف عندها روب جرييه . فمورياك يكتب بشيء من الاسى والتأنيب الصامت قائلا : « أنا أنتمي الى الجيل الذي اعتقد في الانسان » . وربما يعطينا هذا القول انطباعا بأن المفاهيم القديمة البالية لانسانية مورياك كافية لان تكشف عن اسرار الشيء الخارق في « الادب » الذي يقلق سلام الكاتب الموقر ، ولكن تلك المفاهيم في الحقيقة غير كافية لان نهمل ونكشف بقسوة خرافة الابداع المزيف الحديث .

ولذا فان « ذكريات داخلية » يقودنا الى أعماق الازمات النفسية التي يكون الادب قد مارسها في المجتمع البرجوازي ، الادب الذي فقد الايمان بالانسان والذي يخفي بكل الطرق الحقيقة الجبارة للواقع . ان الحيرة تسحق الكاتب القديم الذي يدرك ان الفشل محتم غير انه عاجز لا يستطيع الخلاص بأي طريق .. وانما يشعر فقط باليأس .

وفي الموقف التاريخي الذي يسود العالم اليوم ، لا يبدو من قبيل التزييف ان ممثلي الادب الاشتراكي هم اولئك الذين يدافعون عن فردية الفنان . ولا قيمة لذلك الهراء الذي يؤكد ان فردية الفنان ليس لها أهمية في الواقعية الاشتراكية ، بحجة ان الواقعية الاشتراكية « أدب احصاءات » وهي لذلك تقتضي ضياع ذاتية الفرد وتؤدي الى المساواة العامة !!..

فان كل من يستطيع ان يحلل بصورة موضوعية الموقف الادبي المعاصر ، لا بد من ان يصل الى النتيجة التي تؤكد انه في العالم الاشتراكي فقط يمكن ان تحظى فردية الفنان بتأييد وافر بينما يهددها المجتمع البرجوازي المعاصر بفرديته المهووسة .

***

ان فكرتنا عن الاسلوب والفردية الفنية تختلف تماما عما نجده في أدب العالم الرأسمالي المعاصر وفي مفاهيمه النظرية . وهذا الاختلاف الملحوظ يقوم وسوف يقوم باستمرار الى ان يتحول الدارس عن مجال الخزافات العزيزة في الفكر البرجوازي المعاصر الى مجال الاساليب الحقيقية الموجودة في الادب الحديث .

وفي المقال القصير الذي كتبه « روبرت دي ليدييه » عن « جين انويل » قد نجد تعبير « المدى الشعري » ، حيث يقول ان تمثيليات انويل ـ التي ليس لها قيمة في موضوعها ـ تكون دائما مجرد اعلان عن نفس « العالم المخيف لانويل » وانه يرتبط دائما بقالب « المدى الشعري » .

وهنا نصل الى طابع نموذجي ثابت في كل أدب الموديرنيزم المعاصر، مثل « جلد الشجن » لبلزاك التي ينضغط « مداها الشعري » دون رحمة . ولسنا في حاجة بالطبع لتقديم دليل على انه لا توجد مثل هذه الظاهرة في المعسكر الاشتراكي ، أو على ان ادبنا يتقدم على طول الطريق في « مدى شعري » موسع دائما ، فان ذلك أمر واضح لا يحتاج الى دليل .

واذا كان المدى الذي وصلت اليه عملية ضياع « المدى الشعري » يمكن استخلاصه فقط من داخل حدود الادب ، فاننا نستطيع مع ذلك ان نتخذ اتجاها اخر .

فدعنا ناخذ الكتاب الشهير « مجتمع الرخاء » الذي كتبه الاقتصادي الاميركي « جون جالبرايث » ، فهذا الكتاب يعتبر خلاصة الرأسمالية المعاصرة ، كما ان جون جالبرايث هو احد الاشخاص الذين يمارسون تأثيرا معينا في سياسة حكومة الولايات المتحدة الاميركية .

في هذا الكتاب يرسم جون جالبرايث صورة جذابة للنظام الاجتماعي القائم في اميركا اليوم : حيث يتحدث عن القدرة للوصول الى الثراء ، وعن الفقر « المحدود » وعن « التوازن الاجتماعي » الذي حققته البلاد . وجون جالبرايث معجب بصفة خاصة « بالطبقة الجديدة » التي اكتشفها والتي تشكل الحصن ومعقد الامال لاستقرار النظام الاجتماعي القائم . تلك الطبقة تشمل اصحاب المرتبات الحسنة من المهندسين ، والمديرين ، وعلماء التخصصات المختلفة ، والكتاب ، والممثلين ، والاطباء ، والمدرسين ، ورجال الكنيسة . وهو يذكر لنا ان قيام هذه « الطبقة الجديدة » انما يرجع الى حقيقة ان « الطبقة العاطلة في الوقت الحاضر ، خاصة في الولايات المتحدة الاميركية ، قد اختفت على الاقل في أية ظاهرة يمكن التحقق منها » .

ولسوف نترك لضمير المؤلف كلا من القصة الخيالية عن تحويل الذئاب الرأسمالية الى حملان وديعة ، واكتشاف الطبقة الخاصة التي توفر الاستقرار للنظام الرأسمالي .

ان جون جالبرايث يرسم في كتابه الضخم صورة يوتوبية للرأسمالية الحديثة . الا انه في الفصل الاخير من كتابه تسقط على لسانه الكلمة البسيطة « السعادة » ، وهذه الكلمة تظهر أن العالم الذي حدثنا عنه ـ عالم الثلاجات وأحدث موديلات السيارات ، وكل تلك « البضائع على الحساب » ـ هذا العالم لا توجد فيه سعادة انسانية .

ان الكاتب الذي ناقش كل الامور بهذه الفصاحة ، يسقط فجأة في الغموض عندما يتساءل .. السعادة ؟ ثم يجيب « ولكن فكرة السعادة


فنـدق كلاريدج

شارع سليمان بالقاهرة

• موقع ممتاز وأسعار معتدلة

بادارة : حلمي المباشر

تحتاج الى تحقيق فلسفي ، لانه لا يوجد اتفاق لا على كنهها ولا عـــلى مصدرها » . بل هو يذهب أبعد من ذلك فيعطي أحكاما ليس لها دخل مباشر بالمسألة التي نحن بصددها ، وانما تؤكد باقتناع تام افـــلاس يوتوبيا جالبرايث . فهو يعلن في تأثر ان « مجتمـع الرخاء » يعيش في « جو من الحرية والرعب في نفس الوقت » .

لقد كان على جون جالبرايث ، قبل ان يؤمن فعلا بالواقع فـــي العالم الحديث وبالصراع بين النظامين الاجتماعيين والاقتصاديـــن القائمين فيه ، أن يعترف بأنه لا يوجد مكان للسعادة في اليوتوبيـــا الرأسمالية التي رسمها .

ان هذا الاضطراب الغريب فيما كان لا بد من أن يبدو على انـه يوتوبيا رائعة ومتوازنة بدقة ، ليس أمرا مثيرا للدهشة بالنسبـــة الينا .. انه مسألة طبيعية في هذا الاتجاه الخاص .

***

هناك ولا شك علاقة متبادلة مباشرة بين يوتوبيا جالبرايث والمفاهيم الادبية الخالصة للكتـــاب الاميركيين الحديثين . ولذا يتصـــور « اروين هود » اننا نستطيع استخلاص استنتاجات محددة عـن حالة « حركة تجديد الادب » عن طريق اعتمادنا على نظرية ما يسمى « مجتمع التكافل » الذي يعتقد انه قد تكون في الوقت الحالي تاركا اثره فـي كل جوانب الحياة ، بما فيها الادب .

وليس من الصعب ان نرى وجه الشبه بين « مجتمع الرخاء » و « مجتمع التكافل » ، فهما صورتان مختلفتان في الشكل فقط لنفس الاسطورة الواحدة عن الرخاء والتوازن الرأسمالي . وفي ضوء هذه الاسطورة تكتسب « الانماط » الجمالية المعاصرة ، بل وايضا القيـــم المتعارف عليها عالميا للكلاسيكيات ، مظهر الخوارق التافهة .

فنجد اروين هود ، على سبيل المثال ، يبدأ مقاله عن « مجتمـع التكافل وحركة تجديد الرواية » بتفسير مشوش لرواية دستويفسكي « الجريمة والعقاب » حيث يقول :

« راسكولينكوف ، راقد فـــوق سريره ، يخطط جريمة القتـــل الشهيرة ، وفي هذا الوقت « على الطريقة الاميركية تماما » يحضـــر اليه رسول بخطاب من مؤسسة جوجنهايم . انهم يطلبون منه ان يتوجه الى زاوية ـ تيفسكي بروزبكت وشارع ك ـ ليتسلم منحة دراسيـــة بغرض القيام بالبحث الذي كان قد كلف به لدراسة « شاعرية بوشكين وعلاقتها بالاساطير المسكوفية القديمة » .. ويركع راسكو لينكوف ، وهـو يهتز من الفرح ، على ركبتيه ويحني رأســـه اعترافا بالجميل ـ الى أي مدى يشبه راسكولينكوف هـــذا ، ذلـك الـــذي صوره ديستويفسكي !! ـ » ..

ثم يمضي اروين هود قائلا : « ربما ينهي راسكولينكوف حياتـــه الان كأستاذ حكيم في الادب » .

ان هذه الترجمة لرواية ديستويفسكي كانت ستبدو شيئا مثيرا للضحك لو لم تقدم على انها نموذج واع لتمويه التناقضات الاجتماعية في « مجتمع الرخاء » حيث يكون حل الصراعات امرا « لا مناص منه » افتراضـــا .

انها تظهر كما لو انه ليس هناك « مأساة أميركية » ، ولا « اميركا المأساوية » ، كما لو أن الجريمة ليست في تزايد مستمر بالولايـــات المتحدة وان الانحطاط الانساني ليس أمرا عاديا بعد !!

وربما يقول لنا اروين هود ، ان « ذلك كان منذ ٣٥ سنة مضت ولا يمكن ان يحدث الان » .. ولكن ماذا عن رواية شتاينبك الرائعة « شتاء سخطنا » التي ظهرت في عام ١٩٦١ ؟.. ان بطل الرواية هو بالفعل انسان رخاء « مجتمع التكافل » !!.. ففي هذه الصورة المحورة « للمأساة الاميركية » يكون وجود انسان محترم « حلوا » هكذا، لدرجة انه في النهاية يبدأ الرحلة .. لكي يقتل نفسه !!

ان بطل رواية شتاينبك الاخيرة هو بطل حقيقي للمجتمع الـــذي يتحدث عنه المدافعون عن الرأسمالية الحديثة بمثل هذه الالفـــاظ المنمقـــة .

ان اروين هـــود نفسه يرسم صورة قاتمة جدا « للمشهد » الاميركي المعاصر : صورة على العكس تماما لما ذكر من قبل عن رخـاء جالبرايث و « رفاهه » ، حيث يوجد تفسخ العلاقات ، وحيث يكـون كل شيء « محركا » وتتزايد السلبية والخضوع في كل شيء .

هذا « المجتمع المتكافل » مجتمع تعس ، يحرم الانسان من السعادة. ففي جو « المدينة المحركة » التي تسود فيها « فوضوية الجشـع » ـ تعبير ذكي ـ وتخنق « عبير الانسان » ، يوجد هناك اقتناع متزايد بأن الناس لا يمكنهم طويلا أن « يعملوا .. في العلن » ، لانهم لكـــي يضمنوا الاستمرار في حياتهم يكون عليهم أن « يتسللوا خلال الحياة » . ومن السهل ان نتصور مدى تشويه الشخصيات الذي يصبح أمرا محتما في مثل هذه الظروف .

ومن الواضح ان اروين هود ليس راضيا بمفهـوم « الحديث » في الفن ، فهو يستبدله بتعبير « حركة التجديد » . وان الهـــوس المحموم الذي يدفع دارسي الحركة الادبية الاميركية لكـــي يعلنوا ان الكتاب المحدثين هم فنانـــون كاملـــون يعكس موقف المنافسة المريضة التي يعيش فيها الفنان الاميركي المبدع . ان فرص العمل الابداعـــي الحقيقي ، التي في هذا المستوى ، تبدو وقد حددت تحديدا قاطعا .

والى جانب آراء اروين هود ، لا بد من ان نضع نظرية علم الجمال لـ « ليونيل تريلينج » وهو ايضا من المشاهير في الولايات المتحـــدة الاميركية . لقد كتبه بحثا كاملا فـــي عام ١٩٦١ حول وجهة النظر الاميركية الخالصة عن الواقع والحيوية في الفن ، وهو البحث الـــذي اطلق عليه « العنصر الحديث في الادب الحديث » ، ويدور فيه الحديث عن ان الانفصال عن الروابط الاجتماعية وحالة ضياع الفرد الى درجة تدمير النفس ، هي الامور التي تميز الانسان في المجتمع الحديث وعند الكتاب المحدثين .

اننا نساند الادب الذي هو « دراسة للانسان » ، واصطلاحنـــا يكون انسانيا بقدر ما يكون طبيعيا تماما . بينما في المعسكر الاخـــر يستمر البحث عن مصطلحات مختلفة تماما ومتلائمة مع روح ورســـالة اللاانسانية التي تشكل الاتجـــاه الرئيسي في الادب البرجـــوازي الحـــديث .

ان هناك دارس اميركي اخر هو « هاري ليفين » يعرف غـــرض الابداع الادبي بانه « انفصال الواحد عن الكل » . ان كلا منا يتذكـر عبارة « ايلوار » العميقـــة « من افق انسان واحد الى افق كـــل الناس » التي تعتبر ذروة تطوره كفنان ، فخلف هذا الحد الذي يفصل ايلوار عن ماضيه الخاص ، يكمن الاضطراب الحقيقي ومأساة العزلة . ان هذه المعادلة الشعرية تحتوي على كل ما يشكل قوة وانفعال ايلوار الجديد الذي اصبح قريبا الى الناس والى أدب الواقعية الاشتراكية.

ومعادلتا هاري ليفين ، وايلوار ، هما قطبا الادب الحديث وعلـم الجمال المعاصر .. ان الشيء « الاكثر حداثة » في الادب البرجوازي هو فكرة العبث التي تطورت بدرجة كبيرة في كتاب « ر.م. البيريه » عن « المغامرة العقلية للقرن العشرين » .. وهذا الكتاب مكرس للادب


مكتبـة روكسي

اطلبوا منها الاداب كل اول شهر

مع منشورات دار الاداب

أول طريـق الشام

صاحبها : حسن شعيب

الاوروبي الحديث ، بينما لا يتضمن شيئا عن اوروبا الاشتراكية ، مما يمكن المؤلف عمدا من ان يحرف صورة الواقع ويعطي كل اهتمامه لاساليب الانسانية التي تميز الادب الحديث في العالم الرأسمالي ، ويمكنه كذلك من ان يصور حالة ادب العالم كله في هذا الاطار .

ان « ألبيريه » يعرف بالطبع ، ان الادب الانساني العميق الذي يقاوم الانحطاط الجديد ، يوجد في العالم الحديث . ولكنه يتجاهل هذا الادب محاولا ان يبني تعريفه للادب الحديث على مفهوم « التخلي عن الانسان » ، ولذلك ليس غريبا انه يكرس فصلا خاصا من كتابه للحديث عن « فدسية اليأس » .

ان ضياع الانسان يتأرجح ثقيلا كاللعنة فوق الادب الحديث في العالم الرأسمالي ، وعلم الجمال الكامل للموديرنيزم مشتق من التسليم بهذا الضياع ، الذي نبعثه محاولات وحيل معقدة لتحويل اللاانسانية الى ذاتية متطرفة للفرد ، الى « حلة » حسب المودة الحديثة جدا بحيث يكون على الادب المعاصر ان يوائم نفسه لكي يتلوى بداخلها .

ولا بد من ان نلاحظ ما يثير الانتباه في هذه الظواهر ، مثل رواية روبرت موزيل « الانسان بلا صفات » التي لم يهتم بها احد لفترة طويلة .. لقد كتبت « التايمز » عن المؤلف انه أعظم روائي يكتب في ألمانيا في النصف الاول من هذا القرن وواحد من اكثر الكتاب المجهولين في هذا العصر . ان عنوان الرواية يساعد في الحقيقة على تأكيد النزعة التجريدية التي تتضح بدرجة كبيرة في الروايات المعاصرة ، والتي يحاول الناس في الواقع ان يجعلوها اكثر عمقا عن طريق احياء منحه موزيل التي لم تكن متلائمة في أي مكان ، والتي فيها يعتبر اللامعنى للوجود الانساني كما لو كان أمرا محتما .

ان البلدة التي يقع فيها حدث الرواية تسمى « كاكانين Kakanien والحروف الاولى من هذا الاسم الخيالي ـ Kaiserlich Königlich هي اسم مستعار بوضوح من النمسا ـ هنغاريا . ووجو د« كاكانين » الرمزية في الرواية ـ حيث لا وجود لها على أية خريطة ـ يكشف قصد المؤلف في الحديث عن الوقائع التي تكرر نفسها بلا نهاية وعن الاساليب التي تنتشر في ميدان اجتماعي فسيح .

وروبرت موزيل يكشف بموهبة غير مشكوك فيها ، في روايته التي ليس لها نهاية والتي لا تزال ناقصة ، عن التفاهة الكاملة والتجاهل التام لقدرات وصفات وخواص الانسان في مملكة العبث ، كما يبدو العالم المعاصر في عينيه .

ونحن نلتقي بشيء مشابه لهذا في ثلاثية هيرمان بروش « السائرون نياما » التي تحمل هي الاخرى كثيرا جدا مما في اسلوب الرواية الاخيرة . فان لها نفس الاغراض التي في رواية موزيل ، ونتيجة لعدم الاحساس بالواقع ، فان هناك نفس الاستحالة السابقة لتحقيق أي شيء انساني حقيقة .

فالفصل الاستنتاجي من هذه الثلاثية المسمى Zerfall der werte يؤكد العذاب وترقب الشر السابق على السقوط .

ان بروش ، مثل موزيل ، يقدس ذلك المجتمع الذي يعيش فيه والذي يحرم الانسان من كل الخواص الكامنة فيه ويهلكه الى درجة العقم النفسي . ويركز بروش على المستوى النفسي الخالص لكي يكشف عن تجريد الواقع في أي « كاكانين » رأسمالية ، وهذا يمكنه من أن يعطي شخصياته نوعا من شبحية « السير النائم » . لقد بدأت ثلاثية بروش تأخذ أهميتها بصورة متزايدة في الادب الحديث نتيجة فقط للكثافة التي تظهر بها تدمير الانسان ، والسلبية الباردة ، وربما أيضا شراسة الانسان المحلق في الهوة .

وليس من قبيل المصادفة أن ينجذب بعض الناس تجاه أعمال من هذا النوع ويعملوا على بعثها من زوايا النسيان . فالتحليل النهائي لهذه الظواهر في تطور الادب ، واكثر من ذلك في حركة تجديد الادب البرجوازي الحديث ، يكشف عن وجود اسلوب له علاقة محددة بنموذج الفردية المعاصرة .. انه اسلوب الادب الذي وصل الى حالة الانحطاط .

وذلك هو السبب في انه عندما يحاول الادب الحديث في العالم الرأسمالي أن يظهر الانسان بصفات وملامح شخصية معينة ، فانه يواجه بالفشل وتكون النتيجة في كل الحالات .. انسانا بلا صفات . انه مرض غير قابل للشفاء في الادب البرجوازي المعاصر ، وكل المحاولات التي تبذل في « الابتكار » ـ حتى مع اعتبارنا لمدرسة حركة تجديد الرواية ـ هو دليل عقيم . لانها كلها تتبع ، كنقطة بداية ، الوصية القائلة بان الانسان لم يعد يملك اية صفات

وهذا هو بالتحديد ما يدمر الادب .

***

لم يكن ممكنا عند الحديث عن القواعد التي تحكم تطور الادب في العالم الرأسمالي أن نعرض الصورة وننسى التطورات التقدمية التي تحرز أهمية متزايدة .

فتلك التطورات قد ارتبطت ارتباطا وثيقا بما تحقق فعلا في أدب العالم الاشتراكي ، فالتفاعل المتزايد بين الاتجاهات التقدمية في عالم الادب قد أكسبها مجالا واسعا تحتل فيه الاعمال الادبية مكانها في علاقة جوار جغرافية بين كل منها والاخر وهي داخل الحدود القومية الواحدة ، كما انها ترتبط في نفس الوقت بالاحداث الادبية الاخرى البعيدة عنها جغرافيا . ولذلك فان الاصطلاحات المألوفة في التاريخ الادبي ، والمرتبطة بالتوزيع الجغرافي على الخرائط ، تحتاج لان تزود ببيانات جديدة .

ان المجادلات المستمرة عن التطور الادبي المعاصر تساهم بوضوح في تغيير المعيار القائم . فنضال الثقافتين داخل كل ثقافة قومية في العالم الرأسمالي ينتشر بصورة هائلة ، لان علاقة الايديولوجية الخلافة للتطورات التقدمية في أدب العالم الرأسمالي ، بتلك التطورات التي حدثت في الادب الاشتراكي هي الان عامل فعال بصورة مستمرة ، حيث تتزايد بدرجة كبيرة الاهمية التاريخية للواقعية الاشتراكية لتصبح واضحة تماما .

ان التفسير العلمي حقيقة لمشكلة اسلوب الفني وفردية الكاتب لا بد من ان يعتمد على وجهة نظر التطور الادبي المعاصر . وهذا هو الشيء الاكثر الحاحا . لانه من وقت لآخر تظهر نظريات عن « أسلوب حديث » تنادي بتجميع كل الاشياء معا . تلك النظريات لا يمكن النظر اليها الا باعتبارها محاولة لخلق صورة مزيفة تماما لعالم الادب في عصرنا .

ولهذا السبب كان الامر يبدو غاية في الحماقة لو اننا وضعنا ابحاث روبرت موزيل وهيرمان بروش في درجة متساوية مع الابحاث الاشتراكية التي قام بها جوهانز بخر ، فعلى الرغم من انها تتفق في وقت ظهورها الا انها لا تستطيع أن تعطي مفهوم « الاسلوب الحديث » أي محتوى حقيقي . ان هذا كان سيعني بالاحرى ، التسليم بحتمية ان يظل الفكر البرجوازي بكل هوسه الحديث سائدا منتشرا . واستحالة التسليم بهذا الامر مسألة واضحة تماما ، كما أن المفهوم الجديد عن « الاسلوب الحديث » ليس له معنى على الاطلاق ، لان هناك


## منشورات « دار الاداب »

تطلب في القاهرة

من

**مكتبة مدبولي**

٦ ميدان طلعت حرب

( سليمان باشا سابقا )

فاصلا حادا وواضحا بين الاتجاه الاشتراكي في عالم الادب وبين الاتجاهات المختلفة المضادة له والمرتبطة بالازمات النفسية للعالم البرجوازي .

وعندما ننبذ النظريات الخاصة بايديولوجية الوجود المشترك ، فاننا لا نفكر في الحاضر فقط وانما في المستقبل كذلك . ان مستقبل عالم الادب يقترب بسرعة هائلة ، ونحن نعرف انه سيأتي الوقت الذي تسود فيه الاداب الاشتراكية ، دافعة امامها التهويمات الادبية التي لا تزال تتعثر فوق كرامة الانسان ، لكي تنزوي بعيدا في التاريخ .

***

هناك على الاقل فكرتين رئيسيتين لا بد من تمايزهما ، وهما اللتان تجمعت حولهما كل النتائج والتعميمات الجوهرية لتأكيد أهمية وقدرات الشخصية الخلاقة في فهمنا الاشتراكي لها .

هاتان الفكرتان الرئيسيتان هما حرية الابداع .. ومسؤولية الابداع .

ففي الظروف الاشتراكية فقط يستطيع الانسان ان يتكلم عن الحرية الخالصة للابداع ، وليس في ظل الاوهام التي يعزي بها الفرديون ـ الذين تكيفوا مع ظروف العالم البرجوازي ـ انفسهم .

وعندما تكلم مكسيم غوركي في عصره عن « الحرية غير المحدودة اجتماعيا للابداع » كان يضع في اعتباره التغيرات الجذرية التي احدثها المجتمع الاشتراكي في موقف الفنان . لان الشخصية الخلاقة ، في بداية التاريخ ، كانت لديها القدرة لان تكشف الى أقصى مدى عن كل ما تملكه في داخل ذاتها .

ان كل الدروب في الواقع مفتوحة امام الكاتب في ارض الاشتراكية ، ففي الظروف الاشتراكية تتمتع الشخصية الخلاقة بهذه الحرية الذاتية وبالفرص الوفيرة التي تجعل مجال البحث للفنان غير محدود . بينما يتضح في نفس الوقت ان اكثر الملامح وضوحا لما سمي مدرسة « الرواية الجديدة » هو محاولة ابعاد فردية الكاتب عن العملية الابداعية . ففي هذا المعنى بالتحديد يستخدم روب جرييه تعبير « ابعاد التأثير » ، لانه يسعى من اجل رواية يكون فيها اتجاه الكاتب فيما يصوره شيئا لا وجود له على الاطلاق .

ووجهة النظر هذه لا يمكن ان تؤدي الى التغييرات الهامة في طابع الرواية الحديثة التي يود أبطال مدرسة « الرواية الجديدة » أن يحققوها . فمن الواضح تماما انه في هذا الجانب من غرب اوروبا الرسمية المعاصرة ينحصر الامر فقط في احياء شيء مثل تجريدية اليوت التي أعلن عنها في بداية عام ١٩٢٠ .

ومن الواضح كذلك ، ان التجديد والتطور الحقيقي في الرواية يعتمد على روح الفن الاشتراكي . وهذا يعني في نفس الوقت جانبا اخر من الدليل على أن الاتجاه الاشتراكي في الادب يوفر فعلا حرية ابداع ويوفر كذلك الفرص للشخصية الخلاقة بصورة تعجز الطريقة الرأسمالية في الحياة عن توفيرها .

ان الحرية الخالصة لا يمكن ادراكها بالطبع ، بدون التزام كامل.

فما هو نوع هذا الالتزام ؟.. ان الكاتب الذي لا يعزل نفسه عن الشعب ، الذي يعيش حياة واحدة مع الشعب ، انما يعطي معنى واحدا فقط لفكرة الالتزام : كل شيء لا بد من ان يتفق مع مصالح الشعب . لان الشعب هو القوة العظيمة ومصالحه تشتمل على كل ما في الواقع من ثراء وتعدد . ولقد يبدو الامر بالنسبة للشخص المتحامل فقط كما لو ان ذلك سوف يتحكم من الاعمال الخلاقة للكاتب . كلا .. ان هذا الالتزام هو وحده الذي سوف يساعد الكاتب على ان يطلق قدراته بغير حدود .

وربما يقول قائل ان التزام الكتاب المعاصرين في الغرب أصبح مألوفا ، فقد اصبح حتى اولئك الذين لا علاقة لهم بالتفكير الجدي عن التزام الكاتب شغوفين بالحديث عن هذا الالتزام . ولكن هذه السفسطة التي لا نهاية لها حول التزام الكاتب اصبحت عملا متقنا في مجالات أدبية معينة ، وتبعا لذلك يتحول التزام الكاتب دائما ليصبح التزاما نحو نفسه . وبذلك نسقط مرة اخرى في سراديب الفردية والذاتية المليئة بالعديد من المنعطفات المظلمة ، حيث الفنان « الفردي » الحديث ، المرتبط بواحد منها ، يعزي نفسه بوجهة النظر القائلة ان الوضع غير قابل للذوبان .

ان وجهة النظر الاشتراكية عن التزام الكاتب ، التي تشتمل على كل مكونات الشخصية الخلاقة ، مرتبطة مباشرة بالدور الاجتماعي للكاتب ، بحقيقة ان ما يبدعه يصل الى جماهير النوع الانساني ، ويولد ملامسة مع شعور الكثيرين ويربيهم .

ان الاقتراب من روح الشعب هو انتصار هائل للادب الاشتراكي وهو يحدد مجال ابحاثه ومنجزاته الابداعية . ومعنى الالتزام القائم على هذا الاساس ، يهب الكاتب في العالم الاشتراكي تأييدا هائلا ويساعده في كل مراحل عمله .

***

ان مسائل الاسلوب الفني وفردية الكاتب تؤدي بنا حتما الى


# دور العرب

## في تكوين الفكر الأوروبي

**بقلم الدكتور عبد الرحمن بدوي**

**يستعرض هذا الكتاب الهام اثر العرب في تكوين الحضارة الاوروبية في العصور الوسطى ، فيتحدث عن دور العرب في الشعر والفكر العلمي وتكوين الفلسفة والمعارف والموسيقى والمعمار في اوروبا ، ويلقي ضوءا جديدا على التأثير العربي العظيم في القرون الوسطى .**

صدر حديثا عن دار الاداب — الثمن ٣٥٠ ق. ل

# روحانيات

قلبي يا مبدعة الحب
عند القصر تمهل ثم وقف
يا ذات الاهداب السوداء
جرعة ماء ..
الشرفة ما زالت موصدة .. والشمس تنام على كتفي
يا ساكنة القصر أطلّي
هذا ما قالته الدقات الدافئة الرعناء
يا ساكنة القصر ..
يا ذات الثوب المنقوش بألوان الفجر ..
. . .
وأطلت فاتنتي من خلف الشباك الموصد
قلبي يا ظمآن

قلبي يا مسكين .. هذا ما قالته العينان
لو لم تهرب مني الكلمات
لتسلقت الجدران ..
لو لم يكن الثقل الملقى فوق القدمين
لتعلقت هنالك بالانسام .
ولكان غنائي أول صوت يسمع فوق الاغصان .
ولكنت سكبت على أسماع القمر الساحر أغنيتين
أصهر في الاولى أحزاني .. بمياه الحب الشفاف
وأرقرق في الثانية دموع الصفصاف .
لكن الثقل الملقى فوق القدمين
يجعلني أحلم بالنهدين وبالساقين

القاهرة

**محمد السيد ندا**

**ضرورة فهم مشكلة الثقافتين .. اننا بناؤون لثقافة اشتراكية ووارثون لكل ما هو طيب وتقدمي في ثقافة الماضي كلها .. ونحن نحمي الميراث العظيم من طوفان الانحطاط الادبي المعاصر ونكشف القناع عن مزاعم مفكري الانحطاط الذين يزعمون بأنهم يمثلون الثقافة المعاصرة ، فهؤلاء في مقدورهم ان يتكلموا فقط عن الثقافة المنحطة في العالم الرأسمالي.**

**كما اننا ضد المحاولات التي تبذل لجعل الثقافة الهابطة للبرجوازية المعاصرة هي الثقافة الوحيدة في العالم الحديث ، وضد محاولات فرض مقاييسها على كل شيء .**

**فليس هناك نظرية عن « اسلوب حديث ووحيد » يمكن ان يتحد تحت لوائها كل ما هو اشتراكي وما هو برجوازي في الادب .**

**وقد نسمع البعض يقول على سبيل المثال ، ان المستوى الحالي للمدينة التكنيكية يؤكد نفسه بدرجة متساوية هنا وهناك عندما يكون « نبض العصر مسرعا جدا » ، وان أشكالا معينة وشائعة في الادب سوف توجد حتما بحيث تعكس بدرجة متساوية كذلك تأثير المكتشفات التكنيكية الحديثة على التفكير الانساني .**

**وقد يبدو من النظرة الاولى ان في هذا القول بعض المعقولية ، الا انه اذا ما لخص بصورة جدية فسوف يتضح على الفور ان الثورة التكنيكية ، وبصفة خاصة لما يسمى بالعصر النووي ، قد انعكست بدرجات متفاوتة في ظروف العالم البرجوازي والعالم الاشتراكي .**

**اما السرعة المحمومة للنبض فهي العديد من التطورات المبتكرة المزيفة في الانحطاط المعاصر للادب . بينما لا يكون هناك في ظروف العالم الاشتراكي مثل هذا التذبذب واختلال التفكير المؤلم الذي يجرح الوجدان ، لان النبض في هذا العالم يظل نبضا انسانيا عاديا .**

**ان المجتمع الاشتراكي مرتبط في الحقيقة ارتباطا عميقا بالثورة التكنيكية في هذا القرن ، وبالتقدم الهائل للعلم الحديث بكل مكتشفاته. ولكن ذلك كله لا يجعل الانسان الاشتراكي يفقد الامل ، ولا يجعله يغوص في حالة من الاذلال النفسي .. ولا يدمره ، وانما على العكس من ذلك تماما ، يزيد من وعيه بقوته الذاتية .**

**ان وجهة النظر الإشتراكية في مسائل الاسلوب الفني وفردية الكاتب تشتمل على جميع مكوناتها في ارتباط مع الواقع المعاصر . انها مليئة بالايمان في قوة الانسان المطلقة ، وقائمة على حقيقة ان الثورة الاشتراكية قد فتحت آفاقا غير محدودة أمام الفنانين المبدعين في عصرنا الحاضر وفي عصور المستقبل .**

**ترجمة كمال عطية**